مناقشات

النقد وادعاء العلم

بقلم عبد الله خيرت

تصورت الاستاذ عبد الرحمن فهمي ، وقد قرأ قصص عدد يونيه من الاداب وتهيأ ليكتب عنها ، يسائل نفسه بحيرة : كيف ابدأ والدروب كلها مطروقة .. وفن القصة القصيرة بالذات قد اتضحت في اذهان الكتاب هذه الايام أصوله وقواعده التي كان يظن الى عهد قريب انها مربكة خداعة .. حقا ان كل شيء قد قيل .. ولكن يبدو انه يتحتم علي ان اقول كلاما تبدو فيه الجدة ويبدو فيه عمق الفهم وشمول النظرة وسعة المعرفة .

وبدأ الناقد يكتب محذرا ايانا في البدء ان نسيء الفهم فنخلط بينه وبين صاحبه طالب الجامعة الذي تحت تأثير هذه الرغبة نفسها ـ رغبة ادعاء العلم ولو كان خطأ وثرثرة ـ تهور فأوهم الناس المتحلقين بجانب الراديو انهم مع أوتار بتهوفن وظلوا هكذا حتى نبههم المذيع اخيرا انهم كانوا مع صوت « زور » شكوكو .

كان في العدد قصة لجوته مترجمة ومذيلة بدراسة كذلك .. والسيد الناقد يدرك حتما ان اعمال كبار الفنانين تظل ابدا حية متجددة تفتح لها على ولاء الزمان ابواب القرون .. وان هذه الاعمال ترحب بكل فهم جديد وتقبل وجهات النظر الجديدة ويتسع صدرها لكل المحاولات التي تهدف الى التعرف بها اذا واكب ذلك الاخلاص وحسن النية .. وكم يسدي لنا النقاد من فضل حين يجتهد الواحد منهم مخلصا ليفسر كلمة او اشارة او حركة بدرت من « هملت » مثلا فيجعلنا من جديد نكتشف الشخصية مرة اخرى ونحيا معها حياة جديدة ويعمق فهمنا لها .. وكان باستطاعة الناقد حينئذ ان يحدثنا عن فهمه هو للحكاية وان يضيف شيئا الى كلام الدكتور مكاوي .. غير انه للاسف اخذ يلخص القصة بطريقة خاطئة فبدت كما لاحظ القراء اشبه بقصص الاطفال .. ثم اخذ يعيد كلام الدكتور مكاوي ويفسره .. فلما اراد ان يقول جديدا خرج لنا بهذه النتيجة العجيبة : لو ان قصة الحكاية كانت صدى للثورة الفرنسية وشخصية نابليون « لفقدت الحكاية مجدبة بالنسبة لنا نحن ابناء القرن العشرين الذين اصبحت الثورة الفرنسية بالنسبة لهم تاريخا ووقف نابليون على باب المتحف ينتظر ما سوف يسفيه عليه الزمن من تراب » .. قد يكون الامر هكذا بالنسبة لقصة جدته .. ولكن من قال ان التاريخ يصبح مجدبا حين يتناول احداثه وشخصياته فنان ؟ ونابليون هذا الواقف في المتحف اليس هو نابليون الذي حدثنا عنه ستندال ؟ ولماذا الثورة الفرنسية .. ما رأي الناقد في شخصية كيلو بترا ؟

ان احداث التاريخ وشخصياته والثورات ونتائجها لا تغدو مجدبة وعقيمة بل ومضحكة الا في حالة واحدة هي ان يتناولها كاتب بسذاجة فلا تصبح تاريخا ولا ادبا ولا شيئا على الاطلاق .. وهذا يحدث عندما يكسل الكاتب فينقل من الجبرتي صفحة بصفحة او حين يكتب عن حرب بور سعيد مسرحية هتافية رخيصة يشوه بها البطولة الحقيقية .

ثم لم تبق الا مساحة ضيقة امام الناقد فعاد يقع في الاخطاء التي خاف منها : الشكل والموضوع والفكرة والشخصية والرشاقة .. الخ هذه الاشياء التي ملها الناس واصبحت قضايا قديمة منذ ادرك كتاب هذا الجيل مدى الصعوبة التي يعانيها الفنان حين يحاول في صبر ان ينقل ما عاناه وما احسه الى الناس دون ان تجرفه النكت واللعب بالالفاظ وادعاء التظرف .. فاذا لم يستطع الناقد تلخيص قصة ديزي الامير ـ مع ان القصة لا تلخص وهذه قضية قديمة ايضا ـ قال ببساطة « لم تقل القصة شيئا حتى اناقش كيف قالته » .. اما القصة الاخرى التي لها موضوع يلخصه في كلمة واحدة فله عليها مآخذ وملاحظات .. ثم تأتي قصتي ..

هكذا فهم الناقد قصتي « صابر موظف صغير ضاق بحر القاهرة واراد ان يقضي اجازة في رأس البر ولكنه لم يجد غرفة خالية في فندق والاسعار غالية فركب اول سيارة الى القاهرة في الصباح » ورغم ان هذا الفهم ليس صحيحا ولا يؤخذ على اطلاقه الا انه كما عرضه الناقد ليس فيه ما يضحك .. فما معنى قوله بعد ذلك « هي نكتة اذن .. او قل هي مأزق يضحكنا ان يقع فيه غيرنا » .. لماذا يضحكنا ان يعود موظف صغير الى القاهرة مهزوما عاجزا عن قضاء اجازة صغيرة ؟ الا يمكن ان يحزننا هذا المأزق المحرج ويزيد ضيقنا ويجعلنا نفكر قليلا ؟

وبينما يتواضع الناقد فيقول لديزي الامير « انا لا اتعسف فأطالبك بموضوع ذي خطر وانما اطالب بموضوع مفهوم فحسب » .. نجده يتعسف حين اقدم له انا الموضوع الذي ليس بذي خطر فيقول انه موضوع « لا يولد افكارا ولا يثير انفعالا ولا يصح ان ينفق القارىء وقته وماله في قراءته واقتنائه » ..

وهنا كنت احب الا يتورط الناقد ويبدي هذا الاشفاق المصطنع غير المقبول فهو يعرف ان قارىء الاداب لا يدفع نقوده ليقرأ قصتي او نقد سيادته فحسب .. ان القارىء الذي يستحق ان نشفق عليه ونحزن من اجل نقوده الضائعة هو هذا القارىء الطيب الذي تخدعه العناوين الكاذبة ـ كما خدعت بطل قصتي المتواضع ـ فيشتري مجموعة قصصية لكاتب واحد ويلتقي فيها باشخاص مثل : الاستاذ حمزة عبد الشكور العجوز المنبعج البطن الذي يحمل منديلا محلاويا قذرا ومع ذلك يكتب قصيدة من الشعر الجديد .. ومثل باعة الدندرمه الذين يقضون يومهم يدقون الطبلة في شوارع القاهرة ومع ذلك ينقدون الشعر الجديد .. والعامل الذي يلبس عفريتة زرقاء (لا بد) وبها بقع الزيت والشحم ويدافع عن الادب للحياة و.. و.. وبائع الزبادي الذي يريد أن يمسح الارض بمنافسه في لعب الطاولة من اجل قرشين ثم يذهب هكذا ببساطة الانبياء ليخدم هذا الرجل حين يمرض ويبيع له الاسمنت ويأتيه اخر الليل بنقوده .. القارىء الذي يستحق ان نشفق عليه هو الذي تقابله هذه الجمل المسرفة في خفة الدم والتظرف « توسل لوحي الشعر كي يجبر له البيت المكسور » .. و « حين خرج من المستشفى اصبح يعاني من مكسورين : بيت من الشعر وذراع مدفونة في الجبس » .. اما قارىء الاداب فهو احسن حظا لانه اذا لم يعجبه موضوع انصرف الى غيره .

على ان المسألة اخيرا ابسط من هذا بكثير .. فطالب الجامعة صديق السيد الناقد ليس في قدرته ان يضلل الناس ويخلط بين بتهوفن وشكوكو معتمدا فقط على نكش الشعر والكلمات الجوفاء والتشبه بالعلماء ادعاء لا حقيقة .

القاهرة — عبد الله خيرت

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

شكر ولفت نظر

بقلم محي الدين عبد الرحمن

قرأت في الاداب العدد الماضي الكلمة التي خصني بها الدكتور احمد كمال زكي ضمن نقده لقصائد عدد يونيه من الاداب .. والذي قاله الدكتور صحيح وفي منتهى المنطق .. هذا اذا افترضت معه ان الوجهة التي اخذها هي ما اقصده في القصيدة .

ان اتكلم عن كارثة نهر الاردن شيء مشرف حقا ، وقد تكلمت عن هذا الموضوع في قصائد اخرى ، وشاء القدر والظروف ان اكتب قصيدة اغراب .. في الوقت الذي تثار فيه قضية نهر الاردن ، ولكن ان يفهم الدكتور ان قصيدة اغراب كان موضوعها نهر الاردن فهذا ما اود ان الفت نظر سيادته اليه اذ انني لم اقصد بسرقة مياهنا سرقة مياه نهر الاردن بل اقصد به ماء وجوهنا والذين يسرفونه في هذه القضية يشكلون في حد ذاتهم قضية خطيرة بالنسبة لجماهير شعوبنا العربية ككل .. وهم الطبقة مصاصة الدم بل واكثر دقة مصاصة ماء الوجوه.. انهم يعيشون على اكتافنا ويتركوننا نشقى ، انهم الطفيليون في مجتمعنا العربي . انني اعني باللصوص في قصيدة اغراب الطبقة الفنية .. ولا اعني اليهود مع ان المعنى يكاد يذهب الى نهر الاردن لو اخذ من ناحية المظهر ..

ان رسالة النقد من اصعب الرسالات وهي كالقفص البلوري الذي يستعمله الزراع احيانا لحماية نوع معين من النباتات . انه اللجام الذي يمنع من الجموح . وبودي لو تعمق الدكتور في القصيدة واعطاها وقتا اكثر .. قد يكون اسم صاحبها مغمورا او في طريق الوضوح . ولكن هذا لا يعني ان يمر الدكتور زكي مر الكرام على القصائد .. وان يأخذ قرينة او اكثر يفهم بها مضمون القصيدة .. واعتقد ان « الذين يسرقون ماءنا » هي التي موهت على الدكتور الرؤيا للمضمون..واقول انني لو قصدت نهر الاردن لما قلت :

فالكبرياء عورة لا بد من اخفائها
نقيم بيننا وبينها جدار »

لو كنت اقصد النهر المذكور لمسكت بكبريائي شامخة ولطمت بها وجه العدو على الاقل في قصيدة ـ اذا اعتبرت الكلمة نوعا من انواع السلاح .

والغربة، والالف باب ، والبكاء .. الغربة يا عزيزي الدكتور ليست من الضرورة ان تكون البعد عن الوطن والاهل والاحباب ، هناك غربة في الفكر ، والعواطف والامزجة .. فقد تكون غريبا في بيتك لان احدا لا يفهمك ... اما الالف باب .. فهذا ما اعني به غربتي عن اهلي اذ انني من الاردن ـ الضفة الغربية ... وهل يمكن يا سيدي الدكتور ان تحدس من قرينة البكاء انني اتكلم عن نهر الاردن ؟ انني اتكلم عن الزيف الاجتماعي لا غير اما الحقد الذي سينتصر في النهاية فهو حقد الشرف الذي اهدر من قبل الاخرين .

واخيرا فقد كانت كلمة الدكتور لا تخلو من بعض الاطراء فاشكره وفي الوقت نفسه ارجو ان يقارن مرة ثانية بين الصور في القصيدة على ضوء المعنى الجديد وسيجدها حتما تسمح بالاندماج في عالمنا وخصوصا في المدينة وشكرا .

محي الدين احمد عبد الرحمن
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة

مجموعة ديوان العرب

تصدر باشراف لجنة من المحققين

صدر منها		ق.ل
١	ـ ديوان المتنبي	١٠٠٠
٢	ـ « ابن الفارض	٥٠٠
٣	ـ « عبيد بن الابرص	٤٠٠
٤	ـ « امرىء القيس	٤٠٠
٥	ـ « عنترة	٥٠٠
٦	ـ « عبيد الله بن قيس الرقيات	٦٠٠
٧	ـ « ابن فراس	٧٠٠
٨	ـ « عامر بن الطفيل	٣٥٠
٩	ـ « الخنساء	٣٥٠
١٠	ـ « زهير بن ابي سلمى	٣٠٠
١١	ـ « النابغة الذبياني	٣٥٠
١٢	ـ « ابن زيدون	٦٠٠
١٣	ـ « ابن حمديس	١٥٠٠
١٤	ـ ديوان جرير	١٠٠٠
١٥	ـ شرح المعلقات السبع للزوزني	٣٠٠
١٦	ـ سقط الزند لابي العلاء المعري	٦٠٠
١٧	ـ اللزوميات « « « جزآن	٢٥٠٠
١٨	ـ ديوان الفرزدق جزآن	١٧٥٠
١٩	ـ « الاعشى	٥٠٠
٢٠	ـ « اوس بن حجر	٥٠٠
٢١	ـ « جميل بثينة	٣٥٠
٢٢	ـ « الشريف الرضي جزآن	٣٠٠٠
٢٣	ـ « طرفة بن العبد	٢٥٠
٢٤	ـ « عمر بن ابي ربيعة	٨٠٠
٢٥	ـ « حسان بن ثابت الانصاري	٥٠٠
٢٦	ـ « ابن المعتز	١٠٠٠
٢٧	ـ « ابن خفاجة	٦٠٠
٢٨	ـ « البحتري جزآن	٢٠٠٠
٢٩	ـ « ترجمان الاشواق لابن العربي	٥٠٠
٣٠	ـ « صفي الدين الحلي	١٧٥٠
٣١	ـ « ابي نواس	١٥٠٠
٣٢	ـ « حاتم الطائي	٢٥٠
٣٣	ـ شرح ديوان المتنبي لليازجي جزآن	٢٠٠٠
٣٤	ـ جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي	٧٠٠
٣٥	ـ ديوان بهاء الدين زهير	١٠٠٠
٣٦	ـ « ديوان ابي العتاهية	١٠٠٠
٣٧	ـ ديوانا عروة بن الورد والسموأل	٣٠٠
٣٨	ـ ديوان ابن هانىء الاندلسي	٨٠٠

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت